الفصل الخامس

قناة المتوكل

١ — تمهيد

كان المعتصم قد اكتفى بجعل عاصمته « سامراء » تمتد على محاذاة دجلة في الطول ليسهل حمل مياه الشرب من نهر دجلة في الروايا على البغال وعلى الابل ، ولذلك لم يفكر في القيام بمشروع ري كبير يؤمن ايصال المياه الى قلب العاصمة ، وقد رأى أن يوجه عنايته الى الجهة الغربية من دجلة، حيث وجد هناك امكانيات أوسع لانجاز مثل هذه المشاريع فقام بذلك فعلاً منشئاً نهر الاسحاقي كما تقدم ذكره[1] .

ولكن المتوكل، وهو الذي كان له ولع خاص بمثل هذه المشاريع العامة، بحيث يصح لنا القول أنه كان من أحرص الهواة في هذا المضمار، لم يقنع بهذا ، ولذلك فقد بذل قصارى جهده لتحقيق مشاريع الري على الجانب الذي تقع فيه عاصمته ليتسنى له الابداع في تنسيق بناياته وحدائقه وقصوره من جهة ، والتوسع نحو الشرق دون أن يخشى الابتعاد عن ساحل النهر من الجهة الاخرى، وهكذا فكان أول مشروع قام به بعد توليه عرش الخلافة المشروع المعروف بـ «قناة المتوكل» أو « قناة سامراء » الذي يؤمن ايصال المياه الى عاصمته سامراء بطريقة الري الجوفي المعروف بـ « ري الكهاريز » .

ويشتمل هذا المشروع على كهريزين ضخمين ، يستعمل احدهما في الشتاء والآخر في الصيف ، وهما يستمدان المياه من نهر دجلة شمالي الدور (دور تكريت)

---

(١) راجع البحث الذي تقدم عن نهر الاسحاقي في صفحة ٧٩

فيسيران مسافة حوالي أربعين كيلومتراً حتى يصلا الى قلب العاصمة « سرّ من رأى » ، وقد مدّ المتوكل هذين الكهريزين الى الجنوب فيخترقان « المطيرة » ثم يسيران حتى يصلا الى جوار القادسية . وبفضل هذا المشروع تمكن المتوكل من انجاز مشاريعه الجبارة في قلب العاصمة والتوسع شرقي مدينة سامراء باتجاه منطقة الحير ، ومن أهم هذه المشاريع انشاء حوض للسباحة خلف قصر الخليفة « دار الخليفة » ، وهو الحوض المعروف اليوم باسم « بركة السباع » ، ثم البركة الواسعة التي في الجهة الشمالية الغربية من بركة السباع(١) ، وأخيراً حلبة السباق وتلها الذي يشرف عليها المعروف باسم « تل العليق »، وهي الحلبة التي انشأها المتوكل في جهة الحير والتي كان لابد من ايصال المياه اليها لرشها دوماً ودك الاتربة التي تهيجها حوافر الخيل(٢) . وهذه القناة هي التي مكنت المتوكل من تموين المسجد الجامع الذي انشأه في أول الحير بالمياه الدائمة فجعل فيه على حسب قول اليعقوبي « فوارة ماء لا ينقطع ماؤها ». وقد وصف ياقوت الحموي هذا المشروع في معجمه وقال في وصفه : « واشتق المتوكل من دجلة قناتين شتوية وصيفية تدخلان الجامع وتتخللان شوارع سامراء(٣) » .

وجاء في تاريخ الطبري ذكر هذه القناة في عدة مناسبات فكان يطلق عليها اسم « القناة » دون ذكر اسم سامراء مما يدل على انها كانت من الاعمال الرئيسية العامة المشهورة في ذلك الوقت . فمن جملة الحوادث التي جاء فيها ذكر القناة حادثة قتل أبي نصر في دار الجوسق على عهد المهتدي ثم القاء جثته في بئر من آبار القناة(٤) .

---

(١) حول هاتين البركتين راجع ما تقدم في ص ٦٨ و ٦٩ و ١٤١ والبحث التالي الخاص بهما في هذا الفصل .

(٢) حول هذه الحلبة وتلها راجع ما تقدم في صفحة ١١٧

(٣) حول الجامع المذكور وفوارته راجع ما تقدم في صفحة ١١١

(٤) الطبري (٣ : ١٨١٩ ، ١٨٣٤)

وقبل ان نتطرق الى البحث عن مشروع « قناة المتوكل » هذا قد يكون من المفيد ان نعرض صورة مجملة لنظام ري الكهاريز ، وهو النظام الذي اتقنه الاقدمون من آشوريين وكلدانيين وفرتيين وساسانيين ومن بعدهم العرب فطبقوه في منطقة سامراء كما طبقوه في المناطق الشمالية .

٢ ـ نظام ري الكهاريز

والكهريز مجرى على شكل نفق تحت الارض لسحب المياه الجوفية التي تنبع من العيون هناك واسالتها الى الاراضي الزراعية سيحاً . والعادة ان تحفر آبار على مسافة معينة على طول النفق لرفع أتربة المجرى بواسطتها ، ثم تستعمل هذه الآبار كنوافذ هوائية الى النفق كما تستعمل أيضاً للنزول منها الى النفق اذا ما اقتضى نزحه أو تنظيفه من الترسبات والعوائق التي قد تحول دون جريان المياه فيه . وتغطى عادة هذه الآبار ببناء ذي باب عند فوّهاتها على سطح الارض لمنع تسرب الاتربة الى المجرى الذي تحت الارض فتفتح الابواب للنزول الى المجرى عند اللزوم . وتختلف المسافات بين بئر واخرى حسب طبيعة الارض، فهي تتراوح من خمسة امتار الى عشرة امتار وتمتد الى عشرين متراً في بعض الاحيان ، وتسير هذه الآبار في اتجاه واحد الى مسافة طويلة وهي تدل على اتجاه الكهريز وطوله (راجع الرسم رقم ١٠ — مقطع الكهريز في الاراضي الجبلية) .

ويطبق عادة هذا النظام في الأراضي الجبلية المتكوّنة من مواد متماسكة كالاحجار المتصلبة والصخور الممتزجة مع المواد الصلبة حيث تحول هذه المواد المتصلبة دون انسداد المجرى الجوفي .

اما الاراضي الجبلية المتموجة التي ترتفع تارة وتنخفض طوراً ، فيسير المجرى فيها على شكل نفق تحت الارض في الاقسام المرتفعة من الاراضي ثم يظهر على

سطح الأرض على شكل جدول مكشوف في الاراضي المنخفضة (راجع الرسم رقم ١٠ — مقطع الكهريز في الاراضي الجبلية المتموجة) .

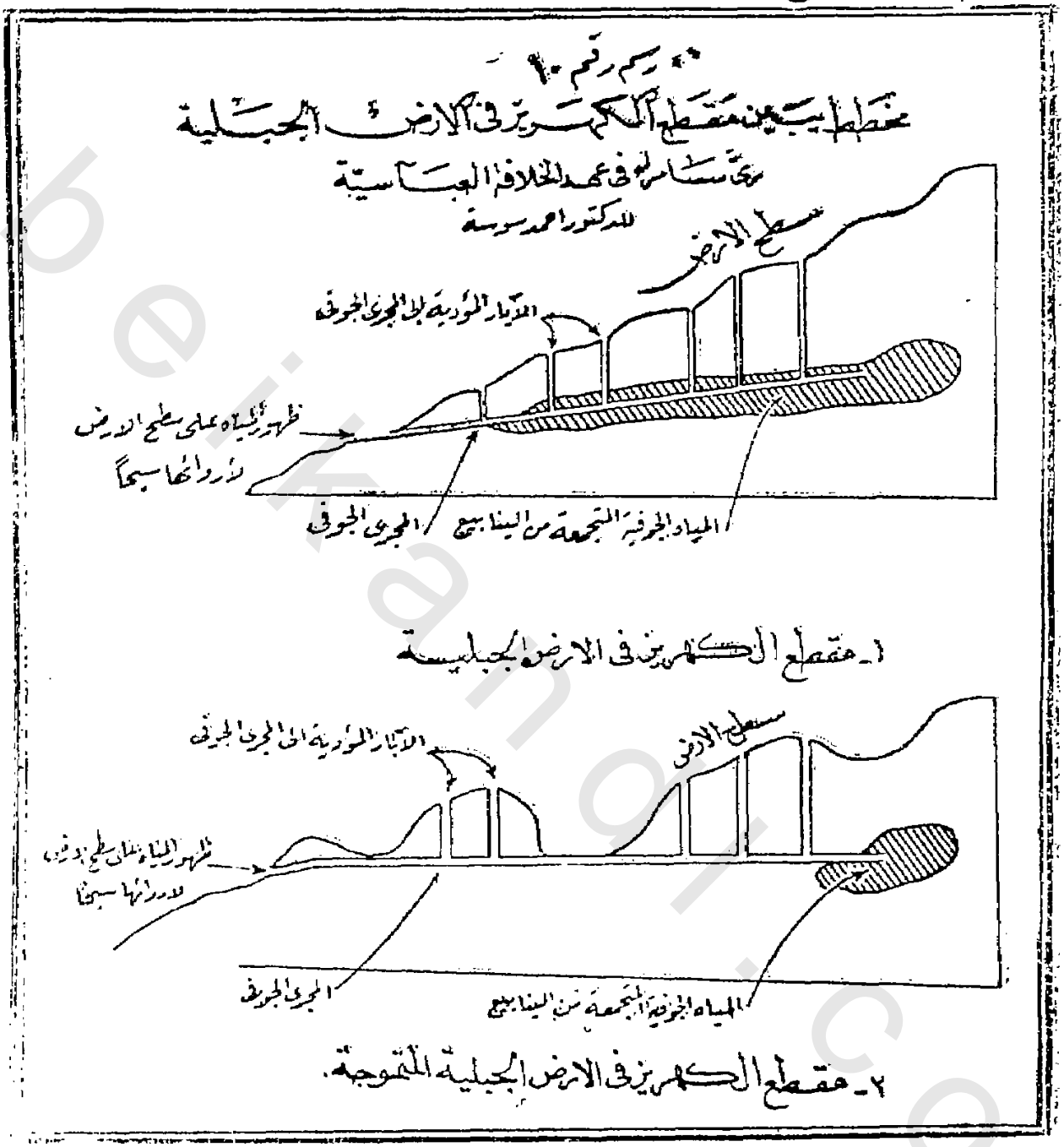

والكهريز تسمية محلية، ولعلها العجمية، اطلقت في العراق على المجرى الجوفي مدار البحث، اما العرب فقد اطلقوا عليه اسم الـ«قناة» واطلقوا على الآبار التي على طول القناة « فقر» مفردها « فقير » (راجع المخصص) . وقد جاء في «المراصد» ان القناة وجمعها القنا آبار ينحرف بعضها الى بعض حتى يظهر ماؤها على جميع الارض. ويظهر ان تسمية « قناة » فارسية الأصل حيث لا تزال هذه التسمية حتى الآن مصطلح عليها في ايران للدلالة على الكهريز .

٣ ـ نظام ري الكهاريز في بلاد فارس

ومع ان المعروف ان بلاد فارس تعد موطن هذا النوع من المجاري الجوفية إلا أننا نجد بان النظام نفسه متبع اليوم في سورية[١] وفي شرقي الاردن وعدن وقبرص كما هو متبع في المناطق الشمالية من العراق، على انه علينا أن نقول بأن تاريخ تطبيق هذا النظام يرجع الى أقدم اطوار تاريخ المدنية الفارسية، وان اعظم منظومة من هذه المجاري الجوفية القديمة تقع في نواحي مدينة «يزد» الايرانية حيث يبلغ طول هذه المنظومة ما يربو على مائة وعشرين كيلومتراً ، ومما يلفت النظر ان هذا المجرى يقع في بعض الاماكن على عمق يقرب من مائتين وأربعين متراً عن سطح الارض الطبيعية . وعلى الرغم من محاولة الدعاة الايرانيين لنظام الري المكشوف ومساعيهم لاتخاذ هـذا النظام كأساس للتوسع الزراعي في المستقبل ، فان نظام المجاري الجوفية لايزال هو النظام الرئيسي المعول عليه في الزراعة هناك في الوقت الحاضر ، وان معظم الاراضي الزراعية في ايران تروى اليوم بواسطة المجاري الجوفية (الكهاريز) . ومن جملة الاضرار التي يشير اليها دعاة نظام الري المكشوف هو ان نظام الري الجوفي ، أي نظام ري الكهاريز ، قديم لايمكن معه تطبيق نظام الري الحديث والسيطرة على المياه التي تجري في الكهريز، فهي تسيل دوماً دون انقطاع وبذلك تحدث أضراراً جسيمة في الاوقات التي لا توجد فيها حاجة الى المياه، فتولد المستنقعات والاهوار، وتضعف خصوبة الارض بتراكم الاملاح فيها .

٤ ـ نظام ري الكهاريز في العهد العربي

ويدلنا التاريخ على ان العرب كانوا قد برعوا في الاعمال الهندسية منذ أقدم

---

(١) يوجد في سورية على مابلغنا من المصادر السورية الرسمية اكثر من خمسمائة قناة (مجرى جوفي) وتسمى القناة هناك « فجارة » وقد سميت بالفرنسية « موغارة » ، ويلاحظ ان كلمة « كهريز » مصطلح عليها هناك للدلالة على مجرى المياه القذرة (Sewer) .

الأزمنة ، وهناك ما يدلنا على انهم ثبتوا في كتبهم القواعد الاساسية لعلم الري والمساحة . ومن جملة كتبهم عن هندسة الكهاريز واستنباط المياه كتاب « انباط المياه الخفية » تصنيف أبي بكر محمد حسن الحاسب الكرخي (٤٠٧هـ - ١٠١٦م) الذي يبحث في الامور المتعلقة بهندسة الكهاريز وبعلم المساحة والتسوية . ومن عجيب ما يلاحظه المرء في هذا الكتاب ان الاصول التي كانت متبعة في ذلك العهد لا تختلف بشيء عن الاصول المتبعة في أيامنا هـذه إلا بالوسائط والآلات التي انتجها التقدم العصري . فالكتاب المتقدم ذكره يحتوي على معلومات قيمة عن كيفية حفر الكهاريز وصيانتها وسائر الامور المختصة بالهيدرولوجية (علم خصائص الماء) . ويلاحظ القارىء في هذا الكتاب مصطلحات فنية غريبة اغلبها يرجع الى أصل فارسي . وأهم ما نستدل به على اهتمام العرب بمشروعات الكهاريز واستنباط المياه الجوفية ما كتبه مؤلف هذا الكتاب في مقدمة كتابه قال : « لست اعرف صناعة اعظم فائدة واكثر منفعة من انباط المياه الخفية التي بها عمارة الارض وحياة أهلها والفائدة العظيمة فيها » .

٥ - نظام الكهاريز الخاص في سامراء وقناة المتوكل

ويختلف نظام الكهاريز الذي كان متبعاً في منطقة سامراء عن نظام الكهاريز الاعتيادي الذي تقدم وصفه في كون المصدر الذي كانت كهاريز سامراء تستقي منه المياه هو نهر دجلة وليس المياه الجوفية (العيون والينابيع) ، لذلك نجد ان الكهاريز المذكورة أقرب الى الجداول منها الى الكهاريز ، من حيث اختلاف مناسيب المياه في النهر الذي يستمد منه الكهريز ايراده المائي في مختلف المواسم ، ومن حيث توافر الطمى والدهلة في موسم الفيضان . وعلى هذا الأساس انشأ المتوكل قناته على شكل كهريزين ، احدهما ، وهو الكهريز الاسفل ، يستعمل في موسم الفيضان عندما تكون المياه مرتفعة ومشحونة بالطمي والاطيان الغرينية ، والآخر ، وهو الاعلى ، يستعمل في موسم الصيهود حين يهبط منسوب المياه في النهر ،

وللتخلص من المياه الزائدة في موسم الفيضان بغية المحافظة على الكهريز الشتوي من الانهدام من جهة ، والوقاية ضد أخطار الغرق من الجهة الثانية ، انشأ مصارف خاصة لهذا الغرض، فان القسم الاعلى من الكهريز الذي كان يمر بموازاة القاطول الاعلى الكسروي كان يصرف المياه الزائدة في الضفة اليسرى من القاطول المذكور ، أما في القسم الجنوبي ، أي بعد أن يعبر الكهريز مجرى القاطول ، فان المياه الزائدة تصرف في الضفة اليسرى لنهر دجلة . وللتخلص من الاطيان والدهلة أنشأ المتوكل أحواضاً واسعة على نمط جدول كبير مكشوف بين مسافات معينة على طول الكهريز الشتوي بغية حصر ترسب الدهلة فيها حيث يسهل رفعها من القعر الى سطح الارض . وتعرف هذه الاحواض بالانكليزية في علم الري باسم (Silt traps) ، أي صيادات الطمي ، اما في سامراء فيسمونها اليوم باسم « دحادير » ، مفردها دحدورة ، أي الحفائر التي تنحدر اليها المياه . ويمكن مشاهدة هذه الاحواض على طول القناة الشتوية وان الاتربة التي على اطرافها المتكونة من الحفريات الاصلية ومن تطهيرات الدهلة تؤلف تلولاً عالية جداً مما يدل على كثرة الترسبات التي كانت ترفع منها بعد كل موسم من مواسم الفيضان .

يتضح مما تقدم ان الطريقة التي اتبعت في انشاء قناة المتوكل هي الطريقة المزدوجة ، حيث اتبعت الطريقتان ـ طريقة الري المكشوف وطريقة الري الخفي ـ في انجازها ، على ان ذلك لاينفي كون القناه اشبه بالجداول المكشوفة منها بالكهاريز الخفية على الرغم من انها اعتبرت من المنشئات الجوفية وسميت بالقناة .

وتوجد هناك قناة قديمة من نوع قناة المتوكل في منطقة سامراء ذاتها إلا أنها تعود على ما نعتقد الى عهد قديم جداً ولعلها ترجع الى ماقبل عهد الفرس . وهذه كانت تتفرع من نهر دجلة ايضاً في نقطة تقع قرب « الفتحة » على بعد حوالي مائة كيلومتر من شمالي سامراء ، فتسير شرقي دجلة الى مسافة طويلة على

شكل كهريز حتى اذا ما اجتازت الأراضي المرتفعة ووصلت الى أمام قرية تكريت ظهرت على شكل جدول مكشوف مسافة قليلة ، ثم تعود فتجري على شكل كهريز تحت الارض الى مسافة طويلة في تلك المنطقة حتى تنتهي الى الاراضي السهلة المجاورة الى الملح في الحد الغربي من بحيرة الشارع . ويمكن تتبع آثار هذه القناة الى مسافة طويلة على الرغم من انها تختفي في كثير من أقسامها وهذا ما يؤيد بانها من أقدم الكهاريز التي انشئت في هذه المنطقة (راجع اللوحة رقم ١) .

ولا شك في ان مشروع قناة المتوكل يعدّ من اعظم مشاريع الري ، التي انشئت على عهد العباسيين في منطقة سامراء ، أن لم يكن اعظمها ، ويكفي ان نشاهد سعة القناة وهي تمر في الاقسام التي تظهر به على سطح الارض على شكل جدول مكشوف ليتسنى لنا ان نتصور جسامة هذا المشروع . فان الجدول الذي يظهر على سطح الارض شمالي «الدور»، وهو جزء من الكهريز الشتوي ، لا يقل حجمه عن حجم النهروان نفسه ، كما ان المصرف الذي يصرف مياه الفيضان من القناة الى دجلة قرب « سور أشناس » لا يقل حجماً عن حجم أي جدول واسع . اما طول القناة التي تمتد به على شكلها المزدوج فيبلغ حوالي خمسين كيلو متراً .

٦ ـ وصف قناة المتوكل

تبدأ قناة المتوكل على شكل كهريزين يتفرعان من الجانب الشرقي لنهر دجلة في نقطة تقع على بعد نحو اربعين كيلومتراً من شمالي سامراء ، ويسير هذان الكهريزان مسافة بضعة كيلومترات موازيين الى نهر دجلة ، ثم يظهر الكهريز الشتوي على شكل جدول واسع مكشوف مسافة كيلومترين تقريباً حتى إذا ما اقترب من « الدور » عاد فاختفى واستمر في مجراه على شكل كهريز الى جانب الكهريز الصيفي . ويخترق الكهريزان بعد ذلك « قرية الدور » ثم يسيران

جنوباً بموازاة ضفة القاطول الكسروي الشرقية جنوباً حتى إذا ما بلغا مسافة نحو عشرين كيلومتراً من جنوبي « الدور » ظهرا على سطح الارض على شكل جدولين مكشوفين، فيسيران على هذا الشكل بصعة كيلومترات ثم ينعطفان الى الغرب فيتحدان عند الكيلومتر (٢٢) من القاطول الكسروي ، في نقطة تقع امام سور أشناس من الشرق ويعبران في المكان المعروف بـ « فكة مرير » أو « الملك » من فوق القاطول على عبّارة موحدة تنتهي الى حوض واسع على ضفة القاطول الغربية . وفي هذا الحوض شعبة تقاسيم مهمة تبدأ منها تفرعات كثيرة أهمها القناة الرئيسية التي توصل المياه الى سامراء ، وهذه تسير على شكل كهريزين ايضاً حتى تنتهي الى سامراء . ويتفرع من هذا الحوض ايضاً مصرف واسع يبلغ عرضه حوالي ٢٠ متراً يعرف باسم نهر « مرير » ، فيصرف مياه القناة الزائدة الى دجلة في موسم الفيضان . ويسير هذا المصرف باتجاه الغرب فيترك « سور أشناس » الى يمينه ثم ينتهي الى نهر دجلة . أما طول المصرف ، بين حوض التقسيم ودجلة، فيبلغ حوالي ثلاثة كيلومترات بين صدره عند حوض التقسيم و « سور اشناس » . ويبلغ منسوب قعره في الصدر ، أي عند حوض التقسيم ، ٦٠ ر ٧١ متراً فوق سطح البحر ثم يهبط في نهايته عند سور اشناس الى ٦٨ ر ٧٠ متراً . ويستدل من الآثار المتقدمة على أنه كان على صدر هذا المصرف ناظم تنظم بموجبه كمية المياه التي تصرف الى دجلة حسب مقتضى الظروف. ويظهر مما ورد في وصف البحتري أن المصرف المذكور كان يعرف بـ«الخندق»[1].

والاعتقاد السائد أن مصرف « مرير » هذا صدر من صدور النهروان أي انه يتفرع من نهر دجلة ويصب في القاطول الكسروي ، في حين أن المناسيب تثبت لنا بأنه ينحدر من القاطول نحو دجلة بانحدار ١ في ٣٠٠٠ كما يتضح من المناسيب المذكورة ، ولعل السبب الذي أدى الى هذا الاستنتاج هو أن المصرف

---

(١) راجع ما تقدم في صفحة ١٢٤

يبلغ من السعة في الحجم والارتفاع في الضفاف ما يضاهي بهما جدول النهروان نفسه ، وفضلاً عن ذلك أن صلة هذا المصرف بقناة المتوكل لم تخطر على البال . والغريب أن الخرائط الانكليزية سمت هذا المصرف « نهر حلوة » وقد نقلت خرائطنا العربية هذه التسمية ايضاً ، في حين انه لا يوجد مثل هذا الاسم في كل هذه المنطقة . وتدل المستويات التي رصدناها في هـذا المكان على أن منسوب قعر مجرى القاطول الكسروي في المكان الذي تعبر من فوقه عبارة القناة يبلغ ٩٨ ر ٦٨ متراً فوق سطح البحر كما نستخلص من مناسيب قعر القناة في القسم الذي تظهر فيه على شكل جدولين مكشوفين قبل اجتيازها العبارة أن منسوب قعر العبارة التي كانت تعبر عليها القناة من فوق القاطول يبلغ حوالي ٥٠ ر ٧١ متراً الى ٧٢ متراً فوق سطح البحر ، أي أن منسوب قعر العبارة كان أعلى من منسوب قعر القاطول بحوالي ٥٠ ر ٣ الى ٤ امتار .

أما القناة التي كانت تتفرع من الحوض وتتجه نحو سامراء فكانت تموّن مسجد الملوية بالمياه ، كما انها كانت تموّن حلبة السباق أو ساحة الفروسية في منطقة الحير بالمياه عن طريق الخندق الذي يحيط بـ « تل العليق » ، وهو التـل الاصطناعي المرتفع الواقع شمالي سامراء والذي كان يشرف على الحلبة ، واخيراً كانت القناة تموّن بركتي قصر الخليفة بالميـاه ايضاً . ولتحقيق هذه الاهداف شقت كهاريز فرعية من القناة الاصلية تتصل بكل من هذه الاماكن لأيصال المياه اليها .

أما الكهريز الفرعي الذي ينتهي الى « تل العليق » فيتشعب من شرقي القناة الرئيسية في نقطة تقع على مسافة نحو ثلاثة كيلومترات من جنوبي حوض التقسيم ويتجه الى الجهة الجنوبية الشرقية حتى ينتهي الى الجهة الشمالية الغربية من الخندق الذي يحيط بـ « تل العليق » ، وهو التل الذي يقع في الجهة الشمالية من جامع الملوية ، والجهة الشمالية الشرقية من بيت الخليفة . ويشـاهد كهريز فرعي آخر

يخرج من الخندق الذي يحيط بالتل في الجهة الجنوبية الغربية منه فيسير باتجاه الجنوب الغربي حتى ينتهي الى القناة الرئيسية . ويظهر أن هذا الكهريز كان يعيد المياه الزائدة التي تتجمع في الخندق الى القناة الرئيسية (راجع اللوحتين ١ و ٢) [١].

٧ ـ بركتا قصر الخليفة ، البركة النهارية والبركة الاميلية

وكانت القناة الرئيسية التي تتجه نحو سامراء تمر من قرب « بيت الخليفة[٢] . » من شرقيه فتموّن بركتيه بالمياه . وتقع البركة الاولى في الجهة الشرقية الخلفية من « بيت الخليفة » في اتجاه محور الايوان الكبير على بعد نحو ستمائة متر منه . وقد سميت هذه البركة بأسماء مختلفة منها « الزندان » و« الهبيّة » ، أي الهاوية ، و « هاوية السباع » ، وهي تتألف من حفرة مربعة منقورة في الصخر يبلغ عمقها أكثر من عشرة امتار ، وطول ضلعها نحو واحد وعشرين متراً ، ويتوسط هذه الحفرة بركة كبيرة مستديرة تستمد مياهها من الكهريز الفرعي ، الذي يتشعب من القناة الرئيسية ، وعلى الارجح أن الحفرة كانت مسقفة فنظمت على شكل سرداب بغية منع دخول الشمس والهواء الحار اليها . وقد نقرت في كل ضلع من اضلاع الحفرة الاربع ثلاثة أواوين نقشت على جدرانها نقوش جصية جميلة ، وكل هذه الاواوين تطل على البركة التي في وسط السرداب ، وكان المدخل الى السرداب مؤلفاً من درجين منتظمين متصلين بدهليز منتظم وكان يقع هذا المدخل في غرفة جميلة نقشت على جدرانها سلسلة جمال ، وكانت هذه الغرفة جزء من الاواوين التي تحيط بالسرداب من جهاته الاربع .

وكيف كان فاننا نميل الى الاعتقاد بأن هذه البركة انشئت لتحقيق غايتين ، أولاهما تأمين حوض سباحة للخليفة والاخرى تأمين ملجأ صيفي يقضي فيه ساعات الحر

---

(١) حول « تل العليق » المذكور وخندقه راجع ما تقدم في صفحة ١١٧ .

(٢) حول « دار الخليفة » المذكورة راجع ما تقدم في صفحة ٦٦ .

في ايام الصيف المحرقة . والظاهر أن المتوكل لم يكتف بهذا المخبأ الذي اقتصر استعماله على اوقات النهار فاعتزم انشاء بركة اخرى على شكل بركة ليلية مكشوفة يقضي فيها جلساته الغروبية والليلية . وقام بذلك فعلا فأنشأ بركة أوسع واعمق من بركة السباع المغطاة وذلك في الجهة الشمالية الغربية منها . وهذه البركة المكشوفة منقورة في الصخر ايضاً وتقع في وسط حفرة مدورة يبلغ قطرها نحو مائة وخمسة عشر متراً ، أما قطر البركة فيبلغ نحو ثمانين متراً . وكانت هذه الحفرة على ما يظهر من الآثار المتبقية محاطة ببنايات كثيرة التقسيمات ، ويعتقد هرزفلد أن البناية التي في الزاوية الشمالية الشرقية من الحفرة كانت الخزانة العامة . وكانت البركة تستمد مياهها من بركة السباع في كهريز يمتد بينهما ، وتشاهد بين البركتين بئر مربعة الشكل تتصل بالكهريز المذكور لعلها كانت منفذاً للدخول منه الى الكهريز لتنظيفه عند الحاجة أو للوقوف على مستوى المياه في الكهريز منها . والأرجح انها انشئت بقصد استقاء الماء منها لغرض الشرب أو لحاجات اخرى تتطلبها اعمال القصر ، لأن شكلها المربع يجعلها تختلف عن المنافذ الاعتيادية التي على خطوط الكهاريز . أما المياه الزائدة التي كان لا بد من صرفها الى مكان واطىء فكانت تصرف الى نهر دجلة في كهريز آخر يبدأ من حافة البركة الاخيرة وينتهي الى دجلة . والغريب أن شكل هذه الحفرة المدورة أدى الى اعتقاد بعض الغربيين بأن الحفرة كانت « امفيثاتراً » ، وهذا بعيد عن الواقع .

٨ـ امتداد قناة المتوكل الى الجنوب

والظاهر ان قناة المتوكل لم تقف عند حد قصر الخليفة لأن آثارها تدل على انها كانت تسير نحو سامراء فتمون المسجد الجامع الكبير الذي يقع شرقيها ، ومن ثم تمتد بكهريزيها المزدوجين الى « المطيرة » جنوباً ومنها الى جهة مجرى القائم الى مسافة غير قليلة بموازاة الضفة اليسرى من ذلك المجرى .

ولا تزال الكهاريز التي كانت تمر من مدينة سامراء عامرة معظمها يقع تحت بيوت سامراء الحالية، ويستعمل أهالي سامراء بعض هذه الكهاريز لصرف مياه الامطار فيها أو صرف بعض المياه القذرة في بعض الحلات .

ولعل القصد من تمديد القناة الأخير ايصال المياه الى حير الحيوانات الذي اعتزم المتوكل انشاءه بين القاطول الاعلى الكسروي ومجرى القائم ثم عدل عن ذلك بعد ان اتضح له امكان احياء نهر القادسية القديم الذي يتفرع من القاطول الاعلى الكسروي وايصال المياه الى هذه المنطقة سيحاً ، وهو النهر الذي قام باحيائه فعلاً فسمي « نهر نيزك » وسنبحث عنه فيما بعد[1] .

٩ ـ النهران المتفرعان من القناة عند حوض التقسيم

وكان عدا قناة سامراء الذي تبدأ من حوض التقسيم عند فكة مرير وتنتهي في جنوبي سامراء نهران صغيران يتفرعان من نفس الحوض احدهما يسير غرباً لمسافة حوالي كيلومترين في اتجاه «سور اشناس» وهو يلاصق الحافة اليمنى لمصرف مرير ، والثاني يسير شرقاً على محاذاة الضفة اليمنى لمجرى القاطول الاعلى الكسروي وملاصق لها ثم ينتهي عند صدر نهر القادسية القديم الذي يتفرع من القاطول عند الكيلومتر (٣٠) منه[2] . ويقع عند الكيلومتر ٥/٥٠٠ من النهر الثاني قصر مرتفع يعرف موضعه اليوم باسم (الدكة) ، وقد بني هذا القصر على حافة القاطول الكسروي اليمنى فيطل على القاطول من جهة ويشرف على سامراء من الجهة الثانية . اما النهر الذي يقع القصر عليه فكان يمر من تحت القصر في عقادة من البناء ، وتوجد آثار قنطرتين على النهر، قنطرة شرقية وقنطرة غربية، يقع كل

---

(١) راجع البحث التالي الخاص بـ « نهر نيزك » في الفصل السادس .

(٢) حول نهر القادسية المذكور راجع البحث الذي تقدم في ص ١٥٢ و ٢٤١ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٦٨ .

منها على مسافة خمسين متراً من القصر كما انه توجد بركة صغيرة أمام القصر من الجنوب تعرف اليوم باسم (المكمن) كانت ولا شك تستمد مياهها من النهر نفسه. وكان أمام هذا القصر ساحة واسعة محاطة بسور مستطيل لا تزال آثاره ماثلة للعيان فيبلغ طول ضلعه الطويلة كيلومترين ونصف كيلومتر وطول ضلعه القصيرة كيلومتر ونصف كيلومتر (راجع الرسم رقم ١١ والبحث المتقدم الخاص بـ «قصر الدكة» في صفحة ١٢٢).

وفي النهر المذكور الذي ينتهي في القصر انحدار شديد فيبلغ انحداره ما يقرب من واحد في الألف ، وقد دلت التحريات التي قمنا بها ان منسوب قعره في آخر الكيلومتر الاول منه يبلغ ٦٠ر٧١ متراً فوق سطح البحر ثم يهبط الى ٢٠ر٦٥ متراً عند الكيلو متر الثامن منه .

اضافات وتصويبات

صفحة ٥٠

يضاف الى الجملة الاولى المنتهية بكلمة (دار الخليفة) في السطر الثاني عشر ما يلي : ـ

وقد أشار المسعودي الى ان أرض الدير المذكور كانت تعرف بالوزيرية « واليها يضاف التين الوزيري ، وهو اعذب الاتيان وأرقها قشراً وأصغرها حباً ، لا يبلغه تين الشام ، ولا تين أهان وحلوان » .

صفحة ٦٢

تستبدل الجملة الثانية التي تبدأ بكلمة (ولا يزال) في السطر الخامس عشر بما يلي : ـ

ولا يزال هذان الواديان يكونان مجمعاً لمياه السيول في المنطقة التي تمتد بين « سور اشناس » شمالاً و « المطيرة » جنوباً ، ويعرف الوادي الشمالي باسم « وادي النفل » والوادي الجنوبي باسم «وادي الموح » .

صفحة ٦٥

تضاف الحاشية التالية بعد كلمة (بختيشوع المتطبب) الواردة في السطر الرابع : —

هو من اسرة سريانية اشتهرت بتعاطي الطب . وقد كان هؤلاء الناس حلقة الاتصال بين العلوم القديمة ـ اليونانية وغيرها ـ والحضارة الاسلامية .

صفحة ٦٦

يضاف الى آخر السطر الواحد والعشرين المنتهي بكلمة (زهاء ١٦٠مشارة) ما يلي : —

وقد قدر هرزفلد مجموع المساحة التي كان يشغلها القصر ، بما في ذلك الممرات والقاعات والحمامات والثكنات الكائنة في الطرف الشمالي الغربي للقصر وكذا الخمائل التي تشرف على دجلة بـ ١٧٥ هكتاراً، أي حوالي سبعمائة مشارة عراقية .

صفحة ٧١

تضاف الجملتان التاليتان بعد السطر السادس الذي ينتهي بكلمة (التقسيمات):ـ

ومما يؤيد ان « دار العامة » كانت أول بناية عامة انشئت في العاصمة الجديدة انها اقيمت في موضع الدير الذي ابتاعه المعتصم قبل شروعه في إنشاء سامراء[١] . قال اليعقوبي في هذا الصدد : « قال أحمد بن أبي يعقوب كانت سرّ من رأى في متقدم الايام صحراء من أرض الطيرهان لا عمارة بها وكان بها دير للنصارى بالموضع الذي صارت فيه دار السلطان المعروفة بدار العامة وصار الدير بيت المال[٢] » .

ويرى هرزفلد ان الأبنية القائمة في الركن الشمالي الغربي من الحفرة الكبيرة تؤلف ثكنات الجيش ، ويرجح انها كانت ثكنات الخيالة . أما ثكنات المشاة فتفصلها عنها قطعة من الأرض خالية من البناء . وكان في هذه الثكنات ٦٠٠ غرفة ينزلها نحو ٣٠٠٠ من الجنود ، وكان في الرحبة الكبرى ثلاثة مساجد لم تكن محاربها على سمت القبلة تماماً . وتشرف هذه الثكنات على الحديقة وشاطيء دجلة لبنائها على مرتفع من الأرض كما انها تقع الى جانب الشارع الاعظم الذي كان يصلها بالقصر، وقد كان الطريق الوحيد الذي كان يصل جنوبي المدينة بشماليها . (راجع خارطة دار العامة حسب تخطيط هرزفلد) .

---

(١) راجع البحث الذي تقدم الخاص بشراء الدير المذكور في صفحة ٥٠

(٢) راجع كتاب « البلدان » .

صفحة ٧٣

تضاف الجملة التالية الى ما بعد الجملة التي تنتهي بكلمة (راجع لوحة رقم ٢) في السطر الثامن : —

ويلاحظ ان هرزفلد رسم الجسر على خارطته عن سامراء القديمة في موضع يقع جنوبي مدينة سامراء الحالية مباشرة ، في حين ان الجسر كان يقع في شماليها أمام قصر الهاروني كما تقدم .

صفحة ١٠٨

تضاف الجملة التالية الى ما بعد الجملة التي تنتهي بكلمة « تاما » في السطر التاسع عشر : —

والظاهر ان كريزويل ، استاذ العمارة الاسلامية في جامعة فؤاد الأول ، يرى ان « الجوسق » و « دار العامة » اسمان لقصر واحد ، وان « باب العامة » هو المدخل الرئيسي للقصر ، إلا أننا لم نعثر على أي مصدر تأريخي يؤيد ذلك ، ولا سيما ان المراجع المعول عليها تثبت بأن « دار العامة » كانت بمثابة البلاط الملكي الذي يحتوي على قاعات العرش والدواوين الرسمية الخاصة به . ومما يؤيد ذلك ان الدار المذكورة كانت تسمى « دار السلطان » أيضاً ، أي دار الحكم . وقد دلت تدقيقاتنا في الاطلال المجاورة لدار العامة على ان « الجوسق » كان يقع جنوبي « دار العامة » في موضع الاطلال الكائنة على ضفة نهر دجلة بالقرب من « هورة أم السور » الحالية (راجع اللوحة رقم ٧) . وقد أيد هرزفلد ذلك فثبت موضع الجوسق في الخارطة التقريبية التي وضعها لمدينة سر من رأى جنوبي « دار العامة ».

صفحة ٩٣

تضاف الجملة التالية الى آخر ما ورد في مادة « قبة الصليبية » : —

ومما هو جدير بالذكر ان هرزفلد يرى انه من المحتمل جداً أن تكون « قبة الصليبية » موضع قبر المنتصر الذي كان قد انشيء في شهر ربيع الثاني من سنة ٢٤٨ هـ ، مستنداً الى ماذكره الطبري من أن المنتصر « هو أول خليفة من بني العباس فيما قيل عرف قبره وذلك ان امه طلبت اظهار قبره ... واسم امه حبشية وهي أم ولد رومية[١] » . ويرى هرزفلد أيضاً ان مقبرة المنتصر هذه كانت تضم ، علاوة على قبر المنتصر ، قبري المعتز والمهتدي مستنداً الى قول الطبري أيضاً من أن المعتز لما مات في سنة ٢٥٥ هـ « اشهد على موته بنو هاشم والقواد فدفن مع المنتصر في ناحية قصر الصوامع[٢] » . وكذلك قوله من ان المهتدي محمد بن الواثق لما توفي في سنة ٢٥٦ هـ « صلى عليه جعفر بن عبدالواحد وعدد من اخوة أمير المؤمنين ودفن في مقبرة المنتصر[٣] » . ومما حمل هرزفلد على الوثوق من اعتقاده المذكور انه قام ببعض الحفريات في أرضية « القبة » فعثر على ثلاثة قبور اسلامية تحتها . ويرى كريزويل انه اذا صح رأي هرزفلد هذا أمكن أن تعد « قبة الصليبية » من بين أقدم المقابر الاسلامية ، كما انه يرى ان « القبة » تعود الى عهد متأخر من عصر سامراء العباسي لأنها مبنية بنفس المادة التي بني بها « قصر العاشق » ، وهو القصر الذي انشيء على عهد المعتمد .

---

(١) راجع الطبري (٣ : ١٤٩٨)
(٢) راجع نفس المصدر (٣ : ١٧١١)
(٣) راجع نفس المصدر (٣ : ١٨٢٣)

صفحة ١١٠

يضاف الى الجملة الاولى المنتهية بكلمة (برجا) في السطر السابع ما يلي : —

على اعتبار ان اثني عشر برجاً تقع في كل من الضلعين الطوليتين وثمانية أبراج في كل من الضلعين العرضيتين ، عدا الابراج الاربعة الكبيرة التي في الاركان ، فيكون مجموع عدد الابراج ٤٤ برجاً .

صفحة ١١٠

تستبدل الجملتان الثانية والثالثة المبتدئتان بكلمتي (وكان) و (ويستدل) الواقعتين في السطر التاسع والسطر السادس عشر على التوالي بالجملتين التاليتين : ـ

وكان في جدران المسجد واحداً وعشرين باباً تختلف سعة كل منها باختلاف الموقع من الحيطان ، فتبلغ سعة اكبرها ٤٫٧٥ متراً وسعة اصغرها ١٫٥٠ متراً. ومن هذه الابواب خمسة في الضلع الشمالية لحائط المسجد (بابان صغيران في جانبي الضلع وثلاثة أبواب كبيرة في الوسط) وثمانية في كل من الضلعين المستطيلتين اللتين في الشرق والغرب (ثلاثة أبواب صغيرة وخمسة أبواب كبيرة) ، وتتفق مواقع الابواب في الحائط الشرقي مع مواقع أبواب الجانب الغربي . اما الضلع الجنوبية فلا يوجد فيها غير المحراب الذي يواجه « القبلة » وغير باب صغير في كل من جانبي المحراب ، وقد اختيرت مواقع الأبواب بحيث تتفق ونظام الاروقة في داخل المسجد . ولدى تدقيق اتجاه جدار القبلة تبين انه يقع على ١٩٨ درجة و ٣٠ دقيقة على حين ان « القبلة » تقع على ١٩٦ درجة و ٤٦ دقيقة ، أي ان اتجاه الجدار يرجع درجة واحدة و ٤٤ دقيقة الى الشرق .

ويستدل من استكشافات هرزفلد على انه كان في حرم المسجد ٢٥ رواقاً مؤلفة من ٢٤ صفاً من الاعمدة في كل صف منها تسعة أعمدة ، وفي القسم الشمالي المقابل لحرم المسجد ٢٥ رواقاً أيضاً مؤلفة من ٢٤ صفاً من الاعمدة في كل صف منها ثلاثة اعمدة . وتمتد هذه الصفوف من الاعمدة على شكل خطوط ذات زوايا قائمة الى داخل المسجد بالنسبة الى الجدارين ، الشمالي والجنوبي للمسجد ، ويلاحظ ان الرواق الاوسط من الـ ٢٥ رواقاً المذكورة في كلا الجانبين اكثر اتساعاً من البقية . أما الجانبان الغربي والشرقي من المسجد ففي كل منهما ٢٣ رواقاً مؤلفة من ٢٢ صفاً من الاعمدة في كل صف منها أربعة أعمدة . وبذلك تكون جملة عدد الاعمدة ٤٦٤ عموداً. وكانت السقوف ترتكز على العمد مباشرة

دون طيقان من البناء (راجع خارطة مسجد الجامع الكبير الذي انشأه المتوكل في سامراء حسب تخطيط كريزويل) .

صفحة ١١٢

يضاف الى الجملة المنتهية بكلمة (مشارة) الواقعة في السطر الخامس ما يلي:ـ

وتوجد داخل هذا السور، بين جدران المسجد وبين السور، آثار أبنية قديمة تدل على انه كانت حوالي المسجد مدارس دينية يدرس فيها الطلاب الذين كانوا يسكنون هناك على نمط هيأة المدارس الدينية الحالية في الجوامع والاماكن المقدسة .

صفحة ١١٣

تستبدل الاسطر الثلاثة الأولى من الجملة الثانية التي تبدأ بكلمة (يتضح مما تقدم) وهي السطور ١١ و ١٢ و ١٣ بما يلي : —

يتضح مما تقدم ان الشوارع الثلاثة التي كانت تؤدي الى المسجد كانت تتفرع من الشارع الاعظم الذي ينزل من وادي ابراهيم بن رياح ، وهو الشارع الرئيسي الذي كان يسير محاذياً الضفة الشرقية لنهر دجلة ومخترقاً حدائق « دار الخليفة » (دار العامة) الواقعة أمام الدار من جهة الغرب ، فتترك الشارع الاعظم جنوبي « دار الخليفة » و « قصر الهاروني » و « قصر الجوسق » وتتجه شرقاً حتى تفضي الى المسجد في جانب الحائط الغربي الذي كانت فيه ثمانية أبواب ، وذلك بعد ان تخترق السور الخارجي للمسجد .

صفحة ١٨٧

تضاف الحاشية التالية الى ما بعد كلمة (وسامراء) الواردة في السطر الخامس عشر : —

ذكر لنا السيد محمود بك السنوي انه لما كان مديراً لناحية سمبكة قبل اكثر من عشرين عاماً عثر في اطلال « عكبرا » على آجرة كبيرة الحجم من النوع الذي نسميه اليوم « الفرشي » كانت كتبت عليها كلمة « عبقرة » ، والارجح ان هذه الكتابة ترجع الى العهد الفارسي .